# درهم أموي فريد
# إضافة جديدة لتاريخ تعريب الدراهم

أحمد السيد الصاوي
إبراهيم جابر الجابر*

شهد تاريخ تعريب الدراهم الفضية إبان خلافة عبد الملك بن مروان، اختلافات شتى بين علماء المسكوكات نتيجة لندرة الدراهم المبكرة، وقد ظل هؤلاء يعتقدون أن تعريب الدراهم قد بدأ في عام ٧٩هـ /٦٩٨م أي بعد تعريب الدراهم بعامين، ثم تقلص هذا الفارق إلى عام واحد في السبعينيات من القرن الماضي بعد نشر درهم من ضرب أرمينية في عام ٧٨هـ /٦٩٧م وأعقب ذلك ظهور عدد من الدراهم من نفس السنة ضربت بكل من الكوفة وأذربيجان والتميرة.

وقد تركت كتابات الدراهم المنسوبة إلى عامي ٧٨هـ و٧٩هـ انطباعًا قويًّا بأن طراز كتاباتها لم يقر له قرار إلا بدءًا من عام ٨٠هـ /٦٩٩م.

يأتي هذا الدرهم، والذي ننشره هنا لأول مرة، والمضروب بالبصرة في عام ٧٧هـ /٦٩٦م ليؤكد جملة من الحقائق الجديدة في تاريخ تعريب النقد، أولها أن تعريب الدراهم الفضية قد بدأ مع تعريب الدنانير الذهبية وثانيها أن الطراز الذي تميزت به كتابات الدراهم عن كتابات الدنانير قد ظهر مستقرًّا منذ الدرهم الأول والذي نقوم بنشره هنا للمرة الأولى، وهو من مقتنيات متحف قطر الوطني.

ويعتبر هذا الدرهم بمثابة الدرهم الوحيد في العالم المؤرخ بعام ٧٧هـ /٦٩٦م حيث لم يسبق نشر مثيل له إلى اليوم.

وعلى الرغم من مرور أكثر من قرن على بداية اهتمام علماء النميات بالتأليف في تاريخ المسكوكات الإسلامية، فإن العديد من جوانب هذا التاريخ مازالت بحاجة إلى المزيد من التدقيق والتمحيص، ولاسيما على ضوء ظهور قطع نقدية لم تكن معروفة من قبل، وهو ما أدى إلى تغيير عدد لا بأس به من النتائج والقناعات التي كان يظن أنها نهائية وحاسمة.

ومن المعروف أن دراسات النقود الإسلامية تدين بحصيلتها الوافرة من الإصدارات النقدية المختلفة ليس فقط إلى نتاج الحفائر الأثرية، ولكن قبل ذلك وبعده إلى ظاهرة الاكتناز التي صاحبت على الدوام استخدام النقود المعدنية. فالندرة النسبية لمعادن النقود، وخاصة الذهب والفضة، كانت وراء الارتفاع المستمر في القيمة الجوهرية لنقود هذين المعدنين عن قيمها الاسمية، ومن ثم كان الناس يفضلون اكتنازها على أن يتعاملوا بالنقود الأقل قيمة؛ وهو ما عبر عنه قانون جريشام (Grescham) الشهير بأن النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من التداول.

هذه الحقيقة تفسر إلى حد بعيد وصول أعداد كبيرة من النقود الذهبية الإسلامية، ولاسيما المبكرة منها إلى مقتنيات المتاحف والمكتبات العالمية، فيما تبقى كميات النقود الفضية والنحاسية التي ضربت في القرون الأولى للهجرة، نادرة نسبيًّا نتيجة لقلة الإقبال على اكتنازها وهو ما عرضها إلى السحب المستمر من الأسواق لإعادة سبكها وضربها نقودًا من جديد أو للاستخدام في الأغراض الصناعية المختلفة.

ولسنا بحاجة هنا إلى الإسهاب في الحديث عن النقود المتداولة بوصفها أحد المصادر التي كانت تعتمد

عليها دور السك الإسلامية للحصول على المعادن اللازمة لسك الإصدارات الجديدة.

وحسبنا في معرض التدليل على هذه الحقائق أن نشير إلى تاريخ ضرب الدراهم الفضية الإسلامية المعربة تعريبًا كاملاً، والذي تطرأ عليه دومًا تعديلات وآراء جديدة سنة بعد أخرى.

فبعد أن استقر لدى الباحثين أن أقدم دراهم عبد الملك بن مروان المعربة هو ذلك الدرهم المؤرخ بعام ٧٩هـ/٦٩٨ م والذي جاء خلوًا من الإشارة إلى دار الضرب.[١]

نشر في منتصف السبعينيات من القرن الماضي درهم من ضرب أرمينية في عام ٧٨هـ/ ٦٩٨م، واعتبر حينها أقدم الدراهم الإسلامية المعربة.[٢] ثم ظهرت بعد ذلك دراهم ضربت في ذات السنة بكل من الكوفة[٣] وأذربيجان والتميرة.[٤]

وإذا كان تاريخ الدينار الإسلامي المعرب لم يشهد تغيرات تذكر منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث يعود أقدم الدنانير المعربة المعروفة إلى عام ٧٧هـ[٥] إذ حافظت الدنانير الأموية على طراز واحد تقريبًا في المشرق الإسلامي، فإن الدرهم المعرب لم يثبت له طراز موحد في كل القطع المنشورة إلا بدءًا من عام ٨٠هـ.[٦]

فالدراهم الفضية التي ضربت في عام ٧٨هـ بكل من أرمينية وأذربيجان والتي سبق الإشارة إليها تم تسجيل عبارة السك بها في هامش الظهر مع الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص المسجلة في أسطر المركز، وهو ما يتطابق مع كتابات الدنانير الأموية المعربة، بينما سجلت عبارة السك في درهم التميرة مع شهادة التوحيد المركزية في الوجه، وهو ما استقر بعد ذلك في طراز الدراهم الأموية المعربة.[٧]

وجاء الدرهم المحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة والمؤرخ بعام ٧٩هـ ليتبع نفس طراز درهم التميرة مع إغفال الإشارة إلى اسم دار الضرب،[٨] وهو الدرهم الوحيد بين الدراهم الأموية المعربة الذي حاكى طراز الدنانير الأموية بالمشرق في إغفال ذكر اسم دار الضرب. وهو بلا شك درهم استثنائي وفريد، حيث ينقل أنستاس الكرملي عن كتاب النقود للبلاذري أن عبد الملك بن مروان نقش على أحد وجهي الدرهم (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، وعلى الآخر: (لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)، وطوق الدرهم على أحد وجهيه بطوق وكتب في الطوق الواحد (ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا)، وفي الطوق الآخر: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).[٩]

وعلى ضوء الحقائق الجديدة يمكن القول بأن الدراهم التي ضربت في كل من أرمينية وأذربيجان في عام ٧٨هـ وكذا الدرهم المضروب في عام ٧٩هـ دون الإشارة إلى دار السك، هي بمثابة الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، فضلاً عن درهم ضرب التميرة في عام ٧٨هـ،[١٠] والدرهم المضروب في أبر شهر عام ٧٩ هـ،[١١] بما اشتملا عليه من نقوش تتوافق مع الطراز التقليدي للدراهم الأموية المعربة.

ويأتي الدرهم الفضي موضوع هذا البحث ليؤكد أن الدراهم الأموية منذ تعريبها وهي تضرب وفق طراز محدد يخالف طراز الدنانير الذهبية في ذكر اسم دار الضرب. وتسجيل عبارة السك على الوجه مع الكتابة المركزية التي تشير إلى شهادة التوحيد، وظل هذا الطراز مرعيًا طوال العصر الأموي باستثناء القطع التي أشرنا إليها آنفًا. وقد آل هذا الدرهم الفريد إلى ملكية متحف قطر الوطني، ويعد الأقدم بين الدراهم الأموية المعربة إذ يحمل تاريخ عام ٧٧هـ /٦٩٦م وهو من ضرب مدينة البصرة، وقد سجل بمتحف قطر تحت الرقم (٢٧٣٥٤)، ويبلغ وزنه ٢,٩٧ من الجرامات بينما قياس قطره ٢٦,٥ مم.

وينهي ظهور هذا الدرهم الجدل الذي طالما دار حول تعريب الدراهم الفضية والذي كان يظن أنه تال

لتاريخ تعريب الدنانير؛[١٢] إذ بالعثور على هذا الدرهم يمكن الجزم بأن تعريب الدراهم والدنانير قد تم في وقتٍ واحد، وأن سياسة عبد الملك بن مروان التعريبية كانت واحدة بالنسبة للنقدين الرئيسيين بغض النظر عن الخلاف مع الدولة البيزنطية حول نقوش الدنانير، وليس ذلك فحسب، فدرهم البصرة المؤرخ بعام ٧٧هـ يبرهن على أن نقوش الدراهم الأموية المعربة قد تفردت منذ بداية سكها عن تلك التي حملتها الدنانير الأموية المعربة بالإشارة إلى اسم دار الضرب وبتسجيل هامش الضرب مع شهادة التوحيد بالمركز على وجه الدرهم، بينما كان هذا الهامش يسجل بالدنانير على نفس الوجه الذي به الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص بالمركز. فضلاً عن استكمال الاقتباس القرآني من الآيتين ٢٨ و٢٩ من سورة الفتح أو الآية ٩ من سورة الصف إلى عبارة (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)، واستكمال الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص إلى (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)، وهو ما صار مرعيًّا كقاعدة عامة لا تخلو من الاستثناء طوال ما تبقى من عمر الدولة الأموية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذا الدرهم الفريد يعتبر بالتبعية أقدم إصدارات دار ضرب البصرة من النقود المعربة تعريبًا كاملاً بمثل ما تعد البصرة أول دار سك يرد اسمها على العملات الإسلامية بعد تعريب عبد الملك بن مروان للنقد في عام ٧٧هـ. ومن المعروف أن البصرة من الأمصار الإسلامية الأولى إذ اختطها القائد عتبة بن غزوان في عام ١٤هـ/٦٣٥م إبان خلافة عمر بن الخطاب.[١٣] وقد شيدها بالقصب الذي احترق بعد ذلك لتشيد بالطوب اللبن، وقد اختار عتبة لهذا المصر بقعة خالية من البناء إلا من مسالح وقصر قديم وهي أرض غليظة فيها حجارة بيض غلاظ ولذلك عرفت بالبصرة.[١٤]

وقد أسست بالمدينة التي شكلت مع الكوفة – أشهر الأمصار في الشرق الإسلامي– دار لضرب النقود وطفق اسمها يرد على الدراهم المضروبة على النمط الساساني منذ عام ٥١هـ/٦٧١م على أقل تقدير، وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.[١٥] وربما تكون هذه الدار قد شيدت في عهد هذا الوالي الأموي الذي وضع بحزمه وشدته حدًّا لعهود من الفوضى والصراع بدأت بالخلاف الشهير بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

وإذا كان هذا الدرهم الذي ننشره هنا للمرة الأولى يعتبر أقدم إصدارات البصرة من الدراهم المعربة، فإن الدراهم التالية له من ضرب هذه المدينة على ضوء ما وصلنا من نقودها أخذت في الظهور بدءًا من عام ٧٩هـ/٦٩٨م،[١٦] ثم عام ٨٠هـ،[١٧] و٨١هـ[١٨] وما تلا ذلك من سنوات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ثمة درهمًا فضيًا معربًا من ضرب البصرة كان قد نشر وهو يحمل تاريخ الضرب في عام ٤٠هـ/٦٦٠م،[١٩] وهو ما لا يستقيم مع الحقائق التاريخية والأثرية التي تجعل من العام السابع والسبعين للهجرة بدايةً لتعريب النقود الأموية، وقد رجح ووكر (J. Walker) أن هذا الدرهم مؤرخ بعام ٩٤هـ/٧١٤م بينما اتفق ناصر النقشبندي مع رأي مايلز Miles في أن تاريخ سكه الفعلي هو سنة ٩٠هـ/٧١٠م،[٢٠] ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فإن الثابت أن النَّقَّاش قد أخطأ في تدوين تاريخ السك الفعلي لهذا الدرهم.

ومما له مغزاه في درهم البصرة موضوع هذا البحث أنه جاء بنفس الوزن الشرعي للدراهم والتي كان متوسط أوزانها يدور حول ٢,٩٧ من الجرامات،[٢١] وهو ما يشير إلى الالتزام التام والدقة الكاملة من قبل المشرفين على دار ضرب البصرة، لضمان الوزن الشرعي للإصدار الأول من الدراهم الفضية المعربة.

وتتميز كتابات درهم البصرة باستخدام الخط الكوفي البسيط الخالي من علامات الإعجام كليًّا، وهو ما يتوافق مع الدراهم الأموية الأولى التي أشرنا إليها آنفًا.

وقد جاءت كتاباته على هذا النحو:

**الوجه (صورة ١)**

مركز

لا إِلَهَ إِلاَّ

الله وحده

لا شريك له

**هامش (عكس اتجاه عقارب الساعة)**

بسم الله ضرب هذا الدرهم

بالبصرة في سنة سبع وسبعين

**الظهر (صورة ٢)**

مركز

الله أحد الله

الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ

وَلَمْ يُولَدْ ووَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ

**هامش (عكس اتجاه عقارب الساعة)**

محمد رسول الله أرسله بالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

ومن الملاحظ أن كتابات الوجه قد أحيطت بإطار خارجي من حبيبات متماسة يدور حول محيط القطعة، وبعد مسافة شغلت بخمس دوائر صغيرة تم نقش ثلاثة أطر متتالية من حبيبات متماسة حصرت بداخلها كتابات كل من المركز والهامش.

والحقيقة أن هذه الأطر الزخرفية تذكرنا بما كان سائدًا في الدراهم الكسروية بل وفي الدراهم التي ضربت على النمط الساساني بعد الفتوحات الإسلامية، فنجد على أحد وجهي درهم ضرب بمرو في عام ٣١هـ /٦٥١م ثلاثة أطر من حبيبات متماسة تحيط بنقش يمثل دكة النار المجوسية[٢٢] ونفس الأمر في درهم من ضرب الري في عام ٣٧هـ /٦٥٧م.[٢٣]

ويمكن القول بأن الدوائر الصغيرة التي تفصل بين الإطار الخارجي والإطارات الثلاثة المحيطة بالكتابة في

(صورة ١) وجه الدينار.

(صورة ٢) ظهر الدينار.

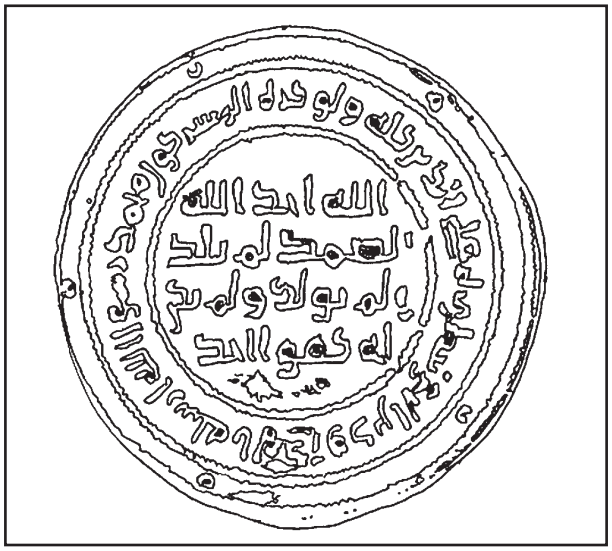

درهم البصرة المؤرخ بعام ٧٧هـ قد حلت ببساطة مكان زخرفة الهلال والنجمة التي كانت تكرر أربع مرات على هامش الدراهم العربية المضروبة على النسق الساساني باعتبار أن اقتران القمر مع المشترى من رموز الرخاء عند الشعوب الشرقية.

أما الظهر فيحيط به إطار خارجي من حبيبات متماسة تليه خمس نقاط أو دوائر صغيرة شبيهة بتلك التي شاهدناها في الوجه، ويلي ذلك إطاران من حبيبات متماسة يحصران فيما بينهما كتابات هامش الظهر. أما كتابات المركز فقد نقشت داخل المساحة التي يحيط بها الإطار الداخلي المؤلف من حبيبات متماسة.

في الحقيقة أن الاكتفاء بنقش إطارين داخليين يحصران كتابات الظهر يذكرنا أيضًا بالدراهم المعربة على النمط الساساني، حيث نجد هذين الإطارين يحيطان بصورة كسرى في عدد كبير من هذه الدراهم، ومنها واحد من ضرب داربجرد في عام ٤٠هـ /٦٦٠م[٢٤] ودرهم آخر من ضرب البصرة إبان ولاية عبد الله بن زياد في عام ٥٨هـ.[٢٥]

ومهما يكن من أمر الأصول القديمة لهذا التقليد الزخرفي، فإن الملاحظ في الدراهم الأموية المعربة أنها التزمت في الغالب بهذا النمط الزخرفي حيث نراه في دراهم من ضرب أبر شهر[٢٦] في سنة ٨٠هـ /٦٩٩م وأرد شير خره في سنة ٨٣هـ /٧٠٢م والبصرة في عام ١٠٠هـ /٧٢٠م.[٢٧]

ويمكن القول بأن هذا الطراز الزخرفي كان قاعدة عامة مرعية في الدراهم الأموية، وإن لم يخل الأمر من استثناءات.

ويعد درهم البصرة هو أقدم الأمثلة الدالة على ذلك، وربما يشير ذلك إلى أن تعريب عبد الملك بن مروان للنقد قد ارتبط ضمن إجراءات إدارية أخرى بنماذج إرشادية من قوالب السك جرى تعميمها على دور الضرب المختلفة، وتم الالتزام بها بصورة شبه حرفية طوال العصر الأموي.

والخلاصة هنا أن الدرهم الذي ننشره هنا لأول مرة يعد إضافةً جديدة للمسكوكات الإسلامية عامةً ولتاريخ تعريب الدراهم الفضية على وجه الخصوص، ويثبت هذا الدرهم المضروب بالبصرة في عام ٧٧هـ

أن تعريب الدراهم قد بدأ هو أيضًا مع تعريب الدنانير في نفس العام، وأن طراز كتابات الدراهم المعربة والذي جاء مغايرًا بعض الشيء لطراز الدنانير المعربة كان أمرًا مقررًا وبكل دقة حتى من الناحية الزخرفية، منذ إقدام عبد الملك بن مروان على تعريب النقد، وإن لم يحل ذلك دون وجود بعض الاستثناءات التي تبرهن على وجود القاعدة العامة والتي ظلت مرعية الجانب إلى نهاية عصر الدولة الأموية على أقل تقدير.

**الهوامش**

* اختص الأستاذ إبراهيم جابر الجابر في هذا البحث بتصوير الدرهم وتعيين وزنه وقياس قطره، وقام الدكتور أحمد الصاوي بالدراسة الموضوعية.

١ M. Baroome, *A Handbook of the Islamic Coins*, (London, 1985), 9; M. Kalt, *Catalogue of the post-reform Dirhams*, (London, 2002), 270.

٢ ناصر النقشبندي ومهاب البكري، الدرهم الأموي المعرب، (بغداد، ١٩٧٤)، ٢٣. ٢

٣ سعيد عبد الفتاح عفيفي عطا الله، نقود نيسابور منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية، رسالة دكتوراة مخطوطة، من كلية الآثار، جامعة القاهرة، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ٦٠.

٤ عاطف منصور، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، نقود الخلافة الإسلامية، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ٩٩–١٠٠.

٥ وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، (بيروت، ١٩٨٣)، ٣٣.

٦ Kalt, *Catalogue of the post-reform Dirhams*, 27.

٧ عاطف منصور، نقود الخلافة الإسلامية، ٩٩.

٨ عبد الرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، (القاهرة، ١٩٦٥)، ٥١.

٩ أنستاس الكرملي، النقود العربية الإسلامية وعلم النميات، (القاهرة، ١٩٨٧)، ٤٣.

١٠ عاطف منصور، نقود الخلافة الإسلامية، ١٠٠.

١١ Kalt, *Catalogue of the Post Reform Dirhams*, 27.

١٢ نايف جورج القسوس، نميات نحاسية أموية جديدة، (عمان، ٢٠٠٤)، ٥٣.

١٣ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (بيروت، ١٩٨٠)، ١٥.

١٤ عيسى سلمان، العمارات العربية الإسلامية في العراق، (بغداد، ١٩٨٢)، ٤٦.

١٥ J. walker, *A Catalogue of the Arab Sassanian Coins*, (London, 1967), 39.

١٦ محمد أبو الفرج العشي، النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني، (الدوحة، ١٩٨٤)، ٦٦.

Kalt, *Catalogue of the Post Reform Dirhams*, 81.

١٧ عبد الرحمن فهمي، موسوعة النقود العربية، ٣٣٧.

Kalt, *Catalogue of the Post Reform Dirhams*, 82.

١٨ J. Bacharch, R. El Nabarawy, N. Nicol, *Catalogue of the Islamic Coins, Glass Weights, Dies and Medals in the Egyptian National Library in Cairo* (New York, 1982), 158; S. Lane-pool, C*atalogue of the Collection of Arabic Coins in Khedivial Library in Cairo*, (Cairo, 1984), 79.

١٩ Kalt, *Catalogue of the Post Reform Dirhams*, 81.

٢٠ ناصر النقشبندي ومهاب البكري، الدرهم الأموي المعرب، ١١، ١٢.

٢١ Baroome, *A Handbook of the Islamic Coins*, 9.

٢٢ Baroome, *A Handbook of the Islamic Coins*, 4.

٢٣ محمد أبو الفرج العشي، النقود العربية الإسلامية، ٥٧.

٢٤ Baroome, *A Handbook of the Islamic Coins*, 5.

٢٥ محمد أبو الفرج العشي، النقود العربية الإسلامية، ٧٦.

٢٦ أبر شهر: مدينة ضربت فيها المسكوكات العربية على الطراز الساساني منذ سنة ٤٥ هـ.

٢٧ Baroome, *A Handbook of the Islamic Coins*, 12.